

ظاهرة الفصل والوصل وتطبيقاتها في الدرس البلاغي - مقارنة وصفية -

The phenomenon of separation and connection and its applications
in the rhetorical lesson - descriptive approach -

د. عمر بوقمرة

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

Dr.bouguemra@gmail.com

الملخص: الفصل والوصل يعني العلم بالمواضع التي تقتضي عطف الجمل على بعضها أو تركه، وقد أدركت العرب هذه المواطن سليقة وأبدعت فيها؛ لما لها من قيمة في صناعة منشور القول ومنظومه، ثم جاء البلاغيون فأولوه عناية خاصة لما له من أثر في فهم كتاب الله وكشف أسرار البلاغية، وجعلوه ضمن مباحث علم المعاني. وهذا البحث يجتهد في تتبع ظاهرة الفصل والوصل في الدرس البلاغي، وبيان قيمته الفنية، مع التركيز على جوانبه العvisية، ودلالاته الخفية، شرحاً وتمثيلاً، مستعينا بالمنهجين الوصفي والتاريخي لمناسبتها لطبيعة البحث.

الكلمات المفتاحية: الفصل والوصل؛ البلاغة؛ مواضع الفصل؛ مواضع الوصل؛ العطف.

Abstract: Separation and connection means knowledge of the places that require linking the sentences to each other or leaving, The Arabs knew these places instinctively and used it fluently, Because of its value in saying poetry and prose. Then came the scholars of rhetoric and gave him special attention because of its impact on the understanding of the Koran and revealing his rhetorical secrets, and made him within the study of the meanings. This research aims to follow the phenomenon of separation and connection in the rhetorical lesson, and the statement of its rhetorical value, while focusing on its difficult aspects and its hidden meanings, explaining and representing them, using descriptive and historical approaches to their relevance to the nature of research.

Keywords: separation and connection; rhetoric; Places of separation ; places of connection ; conjunction.

مقدمة: العلم بمواضع الفصل والوصل؛ وبعبارة أوضح العلم بما ينبغي أن يُفعل في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو الإعراض عن ذلك والإتيان بها منشورة مُستأنفة؛ واحدة تلو الأخرى من أسرار البلاغة، وأخطر أبوابها على الإطلاق، لا يتأتى الكمال فيه إلا للأعراب الخالص الذين جُبلوا على البلاغة، حتى بلغ الأمر ببعضهم (عبد القاهر الجرجاني) أن جعلوه حداً للبلاغة. فقد سئل بعضهم عن البلاغة فقال: "معرفة الفصل والوصل". وما ذاك إلا لغموضه، ودقة مسلكه، وعلو منزلته، وأن من أحرز الفضيلة فيه فقد أحرز الفضيلة في البلاغة كلها¹.

وتبعه على ذلك السكاكي فقال: "وإنما لحك البلاغة، ومُنْتَقَد البصيرة، ومضمار النُّظار، ومُتفاضَل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومِسْبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطئه، ومعجم جلاله وصدئه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقَدْح المَعْلَى...²". وكان الحارث بن أبي شمر العسائي يقول لكتابه المرقش: "إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فالفصل بينه وبين تبعته من الألفاظ، فإنك إذا مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن يُمدَّق؛ نفرت القلوب عن وعيها، وملَّته الأسماع واستثقلته الرواة"³.

– **الفصل لغة:** مصدر الفعل فصل يفصل بالكسر، وفصل يكون لازما ومتعديا، وقد ورد في الصحاح "فصلت الشيء فانفصل، أي: قطعتة فانقطع، وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿□ □ □﴾⁴، أي: فاصل قاطع، وقوله تعالى: ﴿□ □ □﴾⁵، والفصال هو الفطام، ومنه أيضا قول ابن عمر: كانت الفصيل بيني وبينه" أي: القطيعة التامة⁶.

وقد أطلقت كلمة "فصل" على معان عدة منها:

- ضمير رفع منفصل يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله كذلك عند البصريين مثل: إنك أنت العالم .
- أحد أقسام المسرحية.
- أحد أقسام البحث.
- ويوم القيامة (يوم الفصل).
- أحد أقسام السنة عند الطبيعيين، ولكنها كلها تعود إلى معنى أصلي وهو القطع⁷.

– **الوصل لغة:** من وصل وصولا من باب وعد يعد. قال ابن منظور: "الوصل ضد المجران وخلاف الفصل، وفي القرآن الكريم: ﴿لم لي □ □ □﴾⁸؛ أي: بلغناهم إياه، وهذه الكلمة مدلولات كثيرة منها عدم القطع والاتصال، وضد المجران والبلوغ، والانتفاء واللام والربط، وهي كلها متقاربة تدور في فلك واحد، إلا أن الذي اختاره المعنى الاصطلاحي عند البلاغيين هو الأخير (الربط)⁹.

وخلاصة القول أن مصطلحي الفصل والوصل وُجدا في علم الخط العربي، وعلم النحو، وعلم القراءات، وعلم البلاغة، وكلها تعني بالفصل القطع، وبالوصل الربط، سواء بين الحروف، أو بين الألفاظ، أو بين المعاني، ففي الخط العربي تكتب الحروف إما موصولة ببعضها، وإما مفصولة عن بعضها، وتكون الهمزة إما همزة وصل، أو همزة قطع، وفي النحو نجد المصطلحين في العطف والتوكيد وضمائر الفصل والوصل. أما علم القراءات فهو عماد الفصل والوصل؛ ومنه استعار علم البلاغة هذين المصطلحين؛ لأن المجال بينهما متصل والعلاقة قائمة، فما كُتِبَ يحتاج إلى الفصل والوصل حتى يُقرأ بطريق سلمية، ويؤمن جانب اللبس، ويفهم المعنى¹⁰.

وقد أكد ابن الجزري أن القراءة الصحيحة البليغة هي تلك القراءة التي تراعي مواضع الفصل والوصل. يقول: "من الأوقاف ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وُصِل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، فمن التام الوقف على قوله: ﴿فلا □ □ □﴾¹¹، والابتداء ﴿□ □ □ بر □ □ بن بي بي﴾¹²؛ لثلا يوههم أن ذلك من قولهم، وقوله: ﴿تخذتم ته ثر □ جم﴾ عند الجمهور، وعلى ﴿□ حم □﴾¹³ مع وصله عند الآخرين...".

– **الفصل والوصل في اصطلاح البلاغيين:** ما من مصطلح توظفه علوم مختلفة، وفي مراحل زمنية مختلفة أيضا إلا وكان له نصيب هائل من عدم الاستقرار والتباين في الرؤى، وهذا شيء بدهي وهو الذي حصل مع مصطلحي "الفصل والوصل"؛ ولذلك لن نحاول تتبع المعاني التي منحت له في كل مرحلة، وعند أصحاب كل فن، بل ما يهمنا هو الوقوف عند المعنى الذي خلعه عليه البلاغيون قديما وحديثا.

– فقدما عرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الوصل في الجمل عطف بعضها على بعض، والفصل ترك العطف فيها، والجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى"¹⁴.

– وعرفه السكاكي بقوله: "ومدار الفصل والوصل هو ترك العاطف وذكره"¹⁵.

– وحدّه الخطيب القزويني بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"¹⁶.

وعلى هذه التعريفات نبدي الملاحظات التالية:

- كلها تعرّف الوصل بالعطف والفصل بتركه، دون ذكر لأداة معينة من أدوات العطف.

- تعريف الخطيب القزويني حصّ الفصل والوصل بالجملة، بينما تعريف الجرجاني والسكاكي يطلقانه، بمعنى أنه يعم الجملة والمفردات.

أما الجرجاني فقد صرح في موطن آخر بأن الفصل والوصل لا يختص بالجملة فقط، بقوله: "كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله وربط يربطه، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد لا يفترق كذلك إلى ما يصله بالمؤكد... كذلك يكون في الجملة ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها"¹⁷.

أما السكاكي فقد ذكر بعد التعريف أن تمييز مواضع العطف عن مواضع الترك في الجملة هو الأصل في هذا الفن، أي: الفصل والوصل¹⁸، وهذا ليس إقصاء لعطف المفردات، لأن غاية ما في الأمر أن عطف الجملة أصل، وعطف المفردات فرع.

هذا صنيع المتقدمين. أما إن عدنا إلى المحدثين فسنجد أغلب تعاريفهم أضيق وأخص، و ليستبين صنيعهم سنورد بعض تعريفاتهم، يقول السيد أحمد الهاشمي: "فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها، والفصل ترك هذا العطف، والذي يتكلم عليه علماء المعاني هنا العطف بالواو خاصة دون بقية حروف العطف"¹⁹.

وحدّه علي الجارم ومصطفى أمين بقولهما: "يقصد علماء المعاني بكلمة الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف"²⁰.

وما نستشفه من هذين التعريفين أنهما أدق وأخص من تعريفات المتقدمين، وأقرب إلى روح البلاغة وموضوعها، لأنها تركز على الوصل بالواو دون غيره من حروف العطف، وهو سعي مشكور، الغرض منه تخلص البلاغة من النحو خاصة ونحن في زمن من أهم صفاته التخصص والتخلص²¹.

- مكانة "الواو" بين أدوات العطف: ذكر النحاة للعطف تسعة أحرف وهي: الواو، والفاء، وثُمَّ، وحتى، و أو، وأم، وبل، ولا، ولكن. كل هذه الأحرف تفيد إضافة إلى العطف معنى آخر، فمثلا الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وثم تفيد الترتيب والتراخي، و أو تفيد التخيير أو الإباحة أو الشك، ولكن تفيد الاستدراك، وبل تفيد الإضراب والعدول عن شيء إلى آخر، ولا تفيد النفي أي نفي الحكم عما بعدها وإثباته لما قبلها، وهكذا مع بقية حروف العطف، أما حرف الواو فلا يفيد إلا الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعا مطلقا بدون ترتيب ولا تعقيب. فإذا قلت "جاء علي وخالد" فالمعنى أنهما اشتركا في حكم المجيء دون إفادة الأسبقية لأي منهما، أو تحديد للمدة الفارقة بين المجيئين.²²

ولما كانت الواو هي الوحيدة من بين حروف العطف التي ليس لها معنى آخر غير الاشتراك في الحكم استأثرت بمبحث الفصل والوصل، أما غيرها "فلا يحتاج لكثير ذكاء، لأننا إذا أردنا التعقيب جئنا بالفاء، أو التراخي جئنا ب (ثم)، أو الإضراب جئنا ب (بل)، أما الذي يدق فيه المسلك، ويتسابق فيه الأقران فهو العطف بين الجملة بالواو"²³.

مواضع الفصل والوصل: ذكر علماء البلاغة مواضع محددة للفصل، وأخرى للوصل، سنوردها بالتفصيل على النحو التالي:

معنى الثانية أنهم يدعون الإيمان بألسنتهم، وهم حقيقة ليسوا مؤمنين؛ فجاءت الجملة الثانية تؤكد هذا المعنى وتقرره مع زيادة في المعنى؛ لأنهم يقصدون بقولهم هذا خداع الله والمؤمنين³⁰.

ومنه أيضا قول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فمعنى الشطر الثاني (الجملة الثانية) هو معنى الجملة الأولى نفسه، فهي تأكيد لفظي، ومثله قولنا: "تزوج هذا عقد عليها"، والأمثلة على هذا كثيرة.³¹

وقد يُشكّل على القارئ قولي في المثالين الآخرين بأنهما تأكيد لفظي مع أن الألفاظ في الجملتين ليست نفسها؛ فأقول قد نبهت منذ قليل على أن البلاغيين لا يقصدون بالتوكيد مذكره النحاة في كتبهم، وبعبارة أدق لا يميزون بين التوكيد اللفظي والمعنوي مثل تمييز النحاة، وإنما عمدت في ذلك هو تقسيم عبد القاهر الجرجاني الذي جعل التأكيد قسمين؛ لفظي ومعنوي (مثل النحاة تماما)، ولكن مفهومهما يختلف عن مفهوم النحاة الذي عرفناه سابقا، فالتأكيد اللفظي هو أن يكون معنى الجملة الثانية (المؤكدّة) مطابقا لمعنى الجملة الأولى (المؤكدّة) تماما ولو اختلف اللفظ، أما التأكيد المعنوي فليس معنى الجملة الثانية هو نفسه معنى الجملة الأولى، بل هو تقرير له مع زيادة في المعنى³².

لنعد إلى أمثلتنا السابقة لتبين التوكيد اللفظي منها من المعنوي، فالمثال الأول نجد الجملة الثانية (أمهلهم) تحمل المعنى نفسه للجملة الأولى (فمهل)، فهو تأكيد لفظي ليس مراعاة لتطابق اللفظ، وإنما لتطابق المعنى، وفي المثال الثاني نجد جملة (لاريب فيه) تأكيد لفظيا لجملة (ذلك الكتاب)، بخلاف الجملة الثالثة (هدى للمتقين) فهي تأكيد معنوي لجملة (لاريب فيه)؛ لأن فيها زيادة على نفي الريب الهداية، وفي المثال الثالث نجد الجملة الثانية (يخادعون...) تقرر المعنى الأول (ومن الناس من يقول ...) مع زيادة في المعنى وهو الخداع؛ فهو تأكيد معنوي، وفي المثال الرابع نجد أن معنى الشطر الأول هو نفسه معنى الشطر الثاني؛ لأن الراوي هو الذي ينشد الشعر تماما فهو تأكيد لفظي، وفي المثال الخامس نجد أن الزواج هو نفسه العقد، فصار التوكيد لفظيا، وهكذا.

وفي هذا الشأن يقول عبد الفتاح بسيوني: "وتكون الجملة الثانية المؤكدة للجملة الأولى بمثابة التوكيد اللفظي، وهو ما يكون مضمون الجملة الثانية فيه مؤكدا لمضمون الجملة الأولى لاتفاق مفهوميهما... وإما أن تكون الثانية منزلة منزلة من الأولى منزلة التوكيد المعنوي، وهو أن يختلف مفهوم الجملتين، ويكون الثاني مقرا لمعنى الأولى... وهذا يعني أن الجملة الثانية تتضمن معنى جديدا لكنه يؤكد معنى الجملة الأولى"³³.

– أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى: جاء في التلخيص قوله: "... أو بدلا منها لأنها غير وافية بتمام المعنى، أو كغير الوافية، بخلاف الثانية، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة، ككونه مطلوبا في نفسه، أو فظيحا، أو عجيبا، أو لطيفا"³⁴. وقد شرح السبكي هذا المتن مبينا أن المراد من قوله (كون الأولى غير وافية) نوعين من أنواع البدل وهما: بدل بعض من الكل، وبدل الاشتمال، والمراد من العبارة الثانية (أو كغير الوافية) بدل الكل من الكل، ثم نبه بعد هذا الشرح إلى أن القزويني لم يتعرض لبدل الكل، وحجته أن بدل الكل استعني عنه لأنه بمنزلة عطف البيان؛ فقال: "ولم يتعرض

المصنف لحالة كون الثانية بمنزلة بدل الكل؛ لأنه استغنى عنه بعطف البيان لأنه قريب منه. وقال في الإيضاح: لأن بدل الكل تأكيد إلا أن لفظه غير لفظ متبوعه؛ يعني أنه تأكيد معنوي...³⁵.

والمتأمل لكتب البلاغة الحديثة يلقي بعضها يوافق صاحب التلخيص في اقتصاره على نوعين من البدل وهما: بدل بعض من الكل، وبدل الاشتمال؛ فمثلاً نجد أحمد مطلوب في كتابه أساليب بلاغية يقتصر عليهما³⁶، وكذلك فضل حسن عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانها يقتصر عليهما ويعيب على من تجاوزهما إلى بدل الكل من الكل قائلاً: "وقد قسم النحويون البدل أقساماً كثيرة: البدل المطابق، وهو المسمى بدل الكل، وهذا لا يتحدث عنه البلاغيون، ولقد وهم الأستاذ المراغي رحمه الله حينما ذكره... والذي يعني البلاغيين قسمان فقط هم: بدل الاشتمال، وبدل بعض من الكل"³⁷. بينما نجد بعضهم الآخر يتعرض للبدل بأنواعه الثلاثة دون حتى الإشارة لهذا الخلاف، من بينهم على سبيل المثال لا الحصر السيد أحمد الهاشمي وغيره³⁸.

ويبدو أن المشكلة اصطلاحية أكثر منها علمية، وذلك إذا تأملنا المبرر الذي ساقه القزويني في التلخيص لاستغنائه عن بدل الكل من الكل، وهو حلول عطف البيان محله، وسده مسده، وذكر في الإيضاح مبرراً آخر، وهو أن "بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه، وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد"³⁹؛ فإذا ربطنا هذا الكلام بتقسيم عبد القاهر للتأكيد من وجهة بلاغية تبين أن بدل الكل من الكل مع تداخله معي عطف البيان، هو من جهة أخرى ليس إلا توكيداً معنوياً.

وقد وقفت على رأي قوي لصاحب النحو الوافي مفاده أن "التفرقة بينهما قائمة على غير أساس سليم، فمن الخير توحيدهما لما في هذا من التيسير، ومجازاة الأصول اللغوية العامة. أما الرأي الذي يفرق بينهما في بعض الحالات فرأي قائم على التخيل والحذف والتقدير من غير داع، ومن غير فائدة ترتجى، ومن السداد إهماله وإغفاله"⁴⁰؛ ما يرجح أن المسألة خلافية بين العلماء.

ولعل من اقتصر على بدل بعض من الكل وبدل الاشتمال يرى بعدم الفرق بين عطف البيان وبدل الكل من الكل، والذي فرق بينهما يرى بينهما فرقا، ويُعدّ رضي الدين الاسترأبادي (ت686هـ) أول من أشار إلى أن عطف البيان والبدل شيء واحد ولا يوجد بينهما أي فرق بقوله: "وأنا إلى الآن لم يظهر لديّ فرق جلي بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان، بل لا أرى عطف البيان إلا البدل، كما هو ظاهر كلام سيوييه، فإنّه لم يذكر عطف البيان، بل قال: أمّا المعرفة من النكرة، فنحو: (مررتُ برجلٍ عبد الله)، كأنّه قِيلَ: بمن مررت؟، أو ظنَّ أنّه يُقالُ له ذلك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه"⁴¹.

ومن أمثلة بدل بعض من الكل: قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَفَهٌ مُّحْمَدٌ﴾⁴²، فالجملة الثانية (أمدكم بأنعام وبنين، وجنات وعيون) بدل بعض من الجملة الأولى (أمدكم بماتعملون)، إذ الأنعام والبنون وجنات العيون هي بعض ما يعلم هؤلاء المعاندين من نعم الله الكثيرة عليهم، والآية سبقت للتنبيه على نعم الله عليهم، والجملة الثانية أوفى بتأدية هذا المعنى من الأولى لدلالاتها عليه بالتفصيل من غير إحالة إلى علم هؤلاء المعاندين.

82

ومنه قول الشاعر عدي بن زيد:

حيث تنزلت جملة (تروح...) من جملة (كفى...) منزلة عطف بيان.

له: "فما تقول في ذلك الزعم؟" فقال: "أقول صدقوا، ولكن لامطمع لهم في نجاتي منه"⁶⁰.

وما ينبغي توكيده هنا هو أن السؤال الضمني يتكفل السياق بكشفه وتحديدده؛ حتى إذا تشكل وتنزل منزلة الواقع، تكشف واقع علاقة الجملتين وهو الفصل؛ لأن العلاقة بين الجملتين هي علاقة سؤال بجوابه، وهي علاقة قوية الارتباط شديدة الصلة؛ أغنت عن العطف، وهو كما ترى "ارتباط داخلي وثيق، وليس ارتباطا لفظيا ظاهرا، كما في الاستئناف بالفاء، ولا استقلالا كما في الاستئناف بالواو"⁶¹.

- والاستئناف ثلاثة أقسام:

- أن يكون السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيه مطلقاً، كقول المعري:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

أى مابالك عليلا؟ أو ماسب علتك.

- وإما عن سبب خاص كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾⁶²، كأنه قيل: وهل النفس أمانة بالسوء؟ فكان الجواب: إن النفس لأمانة بالسوء.

- وإما عن غيرهما كقوله تعالى: ﴿خَمُّ □ □ □ س﴾⁶³، كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل: قال سلام. ومن هذا الضرب قول الشاعر الذي مثلنا به آنفا:

زَعَمَ الْعَوَاضِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا لَكِنَّ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي.⁶⁴

- **الموضع الثالث: كمال الانقطاع:** يعود سبب كمال الإقطاع إلى الإسناد أو طرفيه، وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام، وانقطاع كامل، وذلك بأن تحتلفا خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، أو معنى لا لفظا، أو بأن لا تكون بينهما مناسبة ما، و له ثلاث صور:

- الصورة الأولى: أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى؛ أي أن تكون كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى خبرا وإنشاء في اللفظ والمعنى، ومثاله قوله تعالى: ﴿□□□□ □□□□□□□□□□﴾⁶⁵ ، فالجمله الأولى (□□ □□ □□) خبرية لفظا وإنشاء، والجمله الثانية (□□ □□ □□) إنشائية لفظا ومعنى، والفصل بينهما لا يوهم خلاف المقصود؛ فهذه التباين التام هو الذي استوجب الفصل. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿تمتهنهم □□ جم □□﴾⁶⁶ ، ومن ذلك أيضا قولك: "لاتدن من الأسد يأكلك" برفع "يأكلك"، ومنه أيضا: "هل تصلح لي سيارتي أدفع لك الأجرة" برفع "أدفع"⁶⁷.

- الصورة الثانية: أن تختلف الجملتان إنشاءً وخبراً معنى فقط، وتتفقان لفظاً، كقولنا: " مات فلان رحمه الله " و " قال عمر رضي الله عنه "، و " فاز حسام وفقه الله " فالجمل (رحمه الله)، و (رضي الله عنه)، و (وفقه الله) كلها خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأنها دعائية؛ ولذلك فصلت عن الجمل الأولى (الخبرية لفظاً ومعنى)؛ فصار الاختلاف بين الجمل الأولى والجمل الأخيرة في المعنى فقط.

– **الصورة الثالثة:** أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، ولكن لا توجد بينهما مناسبة (ويقال أيضاً: رابط، وجامع) في المعنى؛ كقولك: "اجتنب الكذب، كل مما يليك"، وقولك: "احترس من عدوك، توحاً للصلاة"، فلا رابط بين اجتناب الكذب، وبين الأكل باليمين، ولا جامع بين الاحتراس من العدو، وبين الوضوء للصلاة، فهذه جمل اتفقت إنشاءً لفظاً ومعنى، ولكن لا مناسبة بين معانيها؛ لذلك وجب الفصل، ومثال ما اتفقت خبراً لفظاً ومعنى قولك: "الجو لطيف، الطريق واسع"، وقولك: "الجامعة كبيرة، الحياة قاسية"، فهذه جمل اتفقت خبراً لفظاً ومعنى، ولكن لا مناسبة بين لطافة الجو وسعة الطريق، ولا بين كبر الجامعة وبين قساوة الحياة؛ لذلك وجب الفصل أيضاً.

– **الموضع الرابع:** شبه كمال الانقطاع: وهو أن تكون الجملة مسبقة بجملتين، يصح وصلها بالأولى منهما لوجود مناسبة تجيز الوصل، ولا يصح عطفها على الثانية لأن في العطف فساداً للمعنى؛ فيترك العطف على الأولى دفعاً لتوهم العطف على الثانية المفسد للمعنى، فتصير الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى بسبب هذا الحائل على الرغم من وجود المناسبة؛ ولهذا سمي هذا النوع من الفصل شبه كمال الانقطاع، بخلاف كمال الانقطاع الذي لا مسوغ فيه للوصل ألبتة.

وقد مثل البلاغيون لذلك بقول الشاعر:

وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيّم

ففي البيت ثلاث جمل، وهي:

- (وتظنُّ سلمى).
- (أنني أبغي بها بدلاً).
- (أراها في الضلال تهيّم).

ولا مانع من عطف الجملة الثالثة على الأولى، فيصير المعنى: "تظن سلمى، وأراها هائمة في الضلال". ولكن لا يجوز عطف الثالثة على الثانية لما في ذلك من فساد المعنى الذي يصير إلى أن سلمى تظن به أمرين هما: أنه يبغي بها بدلاً، وأنه يراها في الضلال تهيّم، فصارت الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، وهذا معنى لم يرده الشاعر ولا عمد إليه.

– **الموضع الخامس:** التوسط بين الكمالين مع قيام المانع: وهو أن يكون بين الجملتين مناسبة ورابطة قوية، ولكن يمنع الوصل لقيام مانع؛ وهو أن لا يقصد تشريك الجملة الأخيرة مع ما قبلها في الحكم، كقوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ بَلَدٌ﴾⁶⁸ فلا يصح عطف جملة (□ □ □) على جملة (□ □)؛ لأنه لو عطف لاقترض ذلك أن يكون من مقول المنافقين، وهو ليس كذلك بل من مقول الله سبحانه وتعالى (دعاء عليهم)، ولا يصح عطفها أيضاً على جملة (□)؛ لأنه لو عطف عليها لاقترض ذلك أن يكون استهزاء الله بهم مقيداً حال خلوهم إلى شياطينهم، واستهزاء الله بالمنافقين دائم مستمر حال الخلوة والجلوة؛ ولهذا وجب الفصل⁶⁹.

ب – مواضع الوصل: للوصل ثلاثة مواضع وهي:

– **الموضع الأول:** كمال الانقطاع مع الإيهام: وذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، والفصل بينهما يوهم خلاف المراد، كقول بعض البلغاء: لا، وأيدك الله⁷⁰. وهذا النوع لا يوجد له شاهد قرآني، والحسن فيه محدود كما يقول

86

ويجب التأكيد على وجود مناسبة (جهة جامعة) بين المعطوف والمعطوف عليه؛ ولذلك عيب على أبي تمام قوله:

لا والذي هو عالمٌ أنَّ النَّوى صَبْرٌ وأنَّ أبا الحسينِ كريمٌ

إذ لا توجد مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر⁸⁰، وقد لاحظت أن كثيرا من البلاغيين لا يشيرون إلى هذه المسألة في كتبهم، فينبغي أن تكون منا على ذكر؛ كما لاحظت أيضا أن بعضهم لا يتعرض لهذا القسم من أقسام الفصل أصلا، بل يقتصر على القسمين الآخرين فقط؛ ولعل ذلك قناعة منهم أن التشريك في الحكم الإعرابي قضية نحوية لا يحتاج إلى صنعة بلاغية.

الخاتمة: الفصل والوصل من بين أهم مباحث علم المعاني، وقد أشار إلى ذلك القدماء، حتى إن بعضهم جعله حدا للبلاغة ومطابقا لها، وهو عطف الجمل بعضها على بعض، أو ترك هذا العطف، بحرف الواو خاصة دون بقية حروف العطف؛ لأنه يفيد لمطلق الجمع بلا ترتيب ولا تعقيب، بخلاف بقية حروف العطف، فاحتاج إلى قواعد تضبطه وتبين أغراضه، وقد فصل البلاغيون هذا المبحث بمصطلحية؛ فجعلوا لكل واحد منهما مواضع يجب فيها (وجوبا لغويا لاشرعيا)، ولكن يجب التنبيه إلى أن فهم هذه المواضع وإدراكها يرتكز على القدرة النحوية للطالب، وهذا مانبه إليه السكاكي.

المصادر والمراجع:

- ¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، د- ط، د- ت.
- ² السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
- ³ محمد الخطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.
- ⁴ يشكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار دجلة، ط1، 2009.
- ⁵ منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2، 1997 م.
- ⁶ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع: الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د- ط، د- ت.
- ⁷ شرح ألفية ابن مالك: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط1، 1434هـ.
- ⁸ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (ت686هـ): شرح كافي ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، د.ت، ج2.
- ⁹ يحيى بن حمزة العلوي اليميني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، 1912، ج2.
- ¹⁰ عبد المتعالى الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الناشر مكتبة الآداب القاهرة، طبعة نهاية القرن، 2000، ج2.
- ¹¹ صباح دراز: أسرار الفصل والوصل، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1986م.
- ¹² حفي ناصف، وآخرون: قواعد اللغة العربية، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2008.

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، د- ط، د- ت، ص222.

² السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص249.

³ محمد الخطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص99.

⁴ سورة الطارق، الآية 13.

- ⁵ سورة الأحقاف، الآية 15.
- ⁶ ينظر : شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية ، دار دجلة، ط1، 2009، ص19 .
- ⁷ شكر محمود عبد الله: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية ، ص 2120.
- ⁸ سورة القصص، الآية 51 .
- ⁹ شكر محمود عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، ص23، 21.
- ¹⁰ ينظر: منير سلطان : الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2، 1997م ص ، ص13- 15.
- ¹¹ سورة يونس، الآية 65.
- ¹² سورة آل عمران، الآية 7.
- ¹³ منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، ص19.
- ¹⁴ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص57.
- ¹⁵ أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص249.
- ¹⁶ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت، ص 246.
- ¹⁷ منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، ص58.
- ¹⁸ ينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص249.
- ¹⁹ السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص127.
- ²⁰ علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص230.
- ²¹ ينظر: شكر محمود عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص29.
- ²² ينظر :مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، الجزء الثاني، ص576577.
- ²³ فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص411.
- ²⁴ ينظر: محمود أحمد نخلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، ص75.
- ²³⁸ ينظر : شرح ألفية ابن مالك: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط1، 1434هـ، ج3، ص256.
- ²⁶ فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص405.
- ²⁷ سورة الطلاق، الآية 17.
- ²⁸ سورة البقرة، الآية 2.
- ²⁹ سورة البقرة، الآيتان 8- 9.
- ³⁰ ينظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص406.
- ³¹ ينظر: عبده عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، ص252.
- ³² ينظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، حاشية ص406.
- ³³ بسيوني عبد الفتاح فيود: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لعلم المعاني، ص449.
- ³⁴ بهاء الدين السبكي: كتاب عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص503.
- ³⁵ المرجع نفسه، ج1، ص505.
- ³⁶ ينظر: أحمد مطلوب: الفصاحة- البلاغة - المعاني، ص189.
- ³⁷ فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، حاشية ص408.
- ³⁸ ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، هامش ص130.
- ³⁹ القزويني: الإيضاح في تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبديع، ص157- 158.
- ⁴⁰ حسن عباس : النحو الوافي ، ج3، ص576.

- ⁴¹ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت686هـ): شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط1، د.ت. ج2، ص393.
- ⁴² سورة الشعراء، الآيات 1-2-3.
- ⁴³ سورة البقرة، الآية 49.
- ⁴⁴ سورة الرعد، الآية 2.
- ⁴⁵ سورة يس، الآيتان 20-21.
- ⁴⁶ ينظر: القزويني: الإيضاح في تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبدیع، ص156-157.
- ⁴⁷ ينظر: حامد عوي: المنهاج الواضح، القاهرة، 1951، ط2، ج2، ص133.
- ⁴⁸ سورة المؤمنون، الآيتان 81-82.
- ⁴⁹ سورة الفاتحة، الآيتان 6-7.
- ⁵⁰ سورة طه، الآية 120.
- ⁵¹ ينظر: القزويني: الإيضاح في تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبدیع، ص157.
- ⁵² سورة الأعراف، الآية 48.
- ⁵³ بسيوني عبد الفتاح فيود: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لعلم المعاني، ص451.
- ⁵⁴ فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص417.
- ⁵⁵ السكاكي: مفتاح العلوم، ص252.
- ⁵⁶ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ص235.
- ⁵⁷ سورة الذاريات، الآيات 24-28.
- ⁵⁸ سورة هود، الآية 46.
- ⁵⁹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ص240.
- ⁶⁰ ينظر: يحيى بن حمزة العلوي اليمني: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، 1912، ج2، ص46-47.
- ⁶¹ بسيوني عبد الفتاح فيود: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لعلم المعاني، ص473.
- ⁶² سورة يوسف، الآية 53.
- ⁶³ سورة هود، الآية 69.
- ⁶⁴ ينظر: القزويني: الإيضاح في تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبدیع، ص125-126.
- ⁶⁵ سورة فصلت، الآية 34.
- ⁶⁶ سورة الحجرات، الآية 9.
- ⁶⁷ ينظر ك عبد المتعالى الصعدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الناشر مكتبة الآداب القاهرة، طبعة نحابة القرن، 2000، ج2، ص60.
- ⁶⁸ سورة البقرة، الآيتان 14-15.
- ⁶⁹ ينظر: بهاء الدين السبكي: كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص501.
- ⁷⁰ ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص260.
- ⁷¹ ينظر: صباح دراز: أسرار الفصل والوصل، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1986م، ص123.
- ⁷² ينظر: حفني ناصف، وآخرون: قواعد اللغة العربية، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2008، ص164.
- ⁷³ ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص131.
- ⁷⁴ سورة الانفطار، الآيتان 13-14.
- ⁷⁵ سورة البقرة، الآية 36.
- ⁷⁶ سورة هود، الآية 54.
- ⁷⁷ ينظر: عبده عبد العزيز قلقلية: البلاغة الاصطلاحية، ص263.

⁷⁸ سورة البقرة ، الآية 83.

⁷⁹ سورة البقرة، الآية 245.

⁸⁰ ينظر القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 151-152.